العالم المصري الدكتور اسماعيل السباعي

السرطان: ليس المرض «المستحيل» فالعلاج ممكن..

بالرغم من التقدم العلمي والتكنولوجي المثير الذي شهده العالم خلال الربع قرن الأخير في مختلف مجالات الحياة وفروع العلم المختلفة وبالرغم من أن هذا التقدم أصبح يمثل قوة الدفع الأساسية لإحداث هذا التقدم، بالرغم من كل ذلك فإن مقاومة أخطر الأمراض التي عرفها الإنسان وهو السرطان، لا يعتمد كثيرا على هذا التقدم التكنولوجي المثير..

حاتم نصر فريد

هذه الحقيقة تحت في مؤتمر دول البحر المتوسط للسرطان الذي عقد بالقاهرة في الأسبوع الماضي وحضره ١٣٠ عالما من مختلف دول البحر المتوسط وهي: إيطاليا واليونان ويوغوسلافيا وفرنسا. بالإضافة إلى أن هذا المؤتمر جذب اهتمام عدد من العلماء الموجودين في انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وهولندا. أما الباحثون والأطباء المصريون فقد تجاوز عددهم ٤٠٠ من المهتمين بشئون طب السرطان بمختلف تخصصه وأجهزته المصرية.

ومن أبرز شخصيات هذا المؤتمر العالم البريطاني الكبير: سير أوليفر سكوت، الخبير العالمي الشهير بشئون السرطان في انجلترا، وصاحب خبرة واسعة في تنظيم البحوث الأساسية عن السرطان. وقد ألقى هذا العالم الكبير محاضرة عن بحوث مرض السرطان في بلاد العالم الثالث.

وأكد أنه ليس من الضروري أن تكون البحوث العلمية مدعمة بأموال كثيرة وأجهزة تكنولوجية معقدة. إذ أن قوة الملاحظة والخبرة والنظرة إلى المشاكل العلمية نظرة واقعية هي المدخل السليم للبحوث العلمية الجادة.

وأعطى مثلا لذلك بالعالم العظيم د. نيبيس بركت الذي اكتشف نوعا خاصا من مرض الليمفوما - نوع من أمراض الجهاز الليمفاوي - هذا النوع ينتشر في أواسط أفريقيا. وقد أجرى بحوثا رائعة على هذا المرض بأقل الإمكانيات التي يمكن تخيلها، ولذلك عرف هذا المرض باسم مرض بركت نسبة إليه.

وهذا المؤتمر - كما يقول العالم المصري الدكتور اسماعيل السباعي عضو الاتحاد العالمي للسرطان ورئيس المؤتمر - يمثل تعاونا دوليا بين بعض دول البحر المتوسط والدول الأوربية. وبعض دول أمريكا في حدود سياسة الاتحاد العالمي لمكافحة السرطان. وكان الهدف الرئيسي للمؤتمر هو حث الحكومات على التركيز على نواحي مكافحة السرطان المختلفة في البلاد النامية والإكثار من المراكز المتخصصة في الاكتشاف المبكر والتشخيص والعلاج. بما في ذلك الاهتمام بتدريب جميع الفئات المختلفة تدريبا كاملا مستمرا. لأن التقدم يعتمد أولا على قدرات الإنسان ومهاراته قبل المجالات الحديثة والأجهزة والأدوات التكنولوجية الدقيقة.

أما الدكتور شريف عمر أستاذ جراحة السرطان بجامعة القاهرة وسكرتير عام المؤتمر، فيقول إن الاتحاد العالمي لمكافحة السرطان قد بدأ في السنوات الأخيرة في تشجيع عقد المؤتمرات الإقليمية، وهي مؤتمرات تضم بلادا تقع في منطقة واحدة تجمعها ظروف بيئية متشابهة إلى حد كبير، وربما مشاكل متشابهة أيضا. وقد عقد أول تلك المؤتمرات سنة ١٩٧٧ وهو مؤتمر الشرق الأوسط للسرطان وقد ضم هذا المؤتمر المهتمين في مصر وبعض البلاد العربية بالسرطان وكان بداية لنشاط الاتحاد بمنظمات الشرق الأوسط للسرطان.

ومؤتمر البحر المتوسط للسرطان يعد بعد ذلك تتويجا رائعا للمؤتمرات الخمسة. فأعداد الكبير من العلماء والباحثين والأطباء سواء من مصر أو من الخارج الذين شاركوا في هذا المؤتمر، يعتبر أكبر تجمع طبي شهدته مؤتمرات مصر في السنوات الأخيرة. ومن ناحية أخرى فإن نسبة حضور جلسات هذا المؤتمر كانت مرتفعة بشكل واضح، وعرض أغلب الأعضاء على الحضور أبحاثهم الجادة في المناقشات العلمية التي دارت حتى آخر جلسة عقدت. ومن ناحية ثالثة فقد شارك فيه - لأول مرة - بدور فعال مجموعة من طلاب كلية الطب بالإضافة إلى تقديم ٣٠ مكانا بدون رسم اشتراك للشباب الأطباء. وأتيح لهم التعرف على مثل هذه المؤتمرات والاحتكاك بالمستوى العالمي في مجال طب السرطان.

ثم إن التنظيم الرائع لهذا المؤتمر، وبراعة الدكتور شريف عمر سكرتير عام المؤتمر في تنسيق عمل ٢٦ جلسة وندوة على مدى أربعة أيام علامة تستحق أيضا التسجيل والإعجاب. وقد تداولت هذه الجلسات موضوعات وبحوثا عديدة أهمها سرطان الكبد والرأس والرقبة والجهاز الهضمي والثدي والتناسلي والجهاز الليمفاوي.

ولأول مرة في بلاد العالم الثالث تعقد ندوة لمناقشة جمعيات السرطان. فمن المعروف أن جمعيات السرطان تضم غالب الأطباء عندما آخر من رجال الفكر والفن والإعلام، الذين يستطيعون أن يقدموا جزءا من وقتهم لمساعدة مرضى السرطان.

وقد ظهرت من خلال المناقشات العلمية آفاق واسعة للتعاون بين جهات دولية عديدة في مختلف المجالات أهمها - كما يقول الدكتور اسماعيل السباعي - وبائيات السرطان. وطرق الاكتشاف المبكر والتشخيص الدقيق. وكذلك التطبيق السليم لوسائل العلاج المعروفة. ومقارنة نتائج العلاج في مختلف المراكز والدول. حيث إن الهدف دائما هو تحسين هذه النتائج. وقد اتضح كذلك أن نتائج العلاج خصوصا في الأنواع المتقدمة قد تحسنت تحسنا كبيرا.

وقد خصصت جلسة هامة لمناقشة مسببات السرطان واهتمت بصفة خاصة بأكثر المسببات شيوعا وهي البلهارسيا والتدخين. وكما يقول الدكتور شريف عمر - وهو حاصل على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم هذا العام - إن الأبحاث الحديثة قد أثبتت علاقة أكيدة بين

أكبر تجمع طبي شهدته القاهرة في السنوات الأخيرة.. أكثر من ٥٠٠ عالم في طب السرطان تجمعوا لعرض أبحاثهم

كان مؤتمر البحر المتوسط للسرطان موفقا إلى المؤتمرات العلمية . فقد استطاع العالم المصري الشاب الدكتور شريف عمر سكرتير عام المؤتمر أن يسطر عمل ٣٦ جلسة وندوة على مدى أربعة أيام . وقد شارك في المؤتمر عدد من رجال الإعلام

التدخين وجذوت السرطان – بالإضافة إلى أمراض القلب والدورة الدموية والصدر وغيرها – وكان أول تقرير عن علاقة التدخين بسرطان الرئة قد ظهر في سنة ١٩٦٢ وذلك في تقرير جمعية الأطباء الملكية بلندن . ثم في تقرير وزارة الصحة الأمريكية عام ١٩٦٤ . وقد احتمد التقريران على دراسات إحصائية وأخرى تجريبية أجريت على حيوانات المعامل بالإضافة إلى دراسة الظواهر الباثولوجية التي ظهرت في مختلف أجزاء جسم الإنسان . وتبين الدراسات الحديثة أن خطر الإصابة بسرطان الرئة يتناسب طرديا مع عدد سجائر المدخن يوميا . فالذي يدخن ٤٠ سيجارة يوميا معرض ٢٠ مرة للإصابة بسرطان الرئة عن غير المدخن وكلما انخفض السن عن ٢٥ سنة كبداية للتدخين فإن نسبة الخطر تكون في ازدياد

ويضيف الدكتور شريف عمر – وهو أيضا مستشار منظمة الصحة العالمية في التدخين والسرطان – أن الدراسات الإحصائية أثبتت أن التدخين من أهم مسببات سرطان الحنجرة . ويزداد احتمال الإصابة لمدمني التدخين بتناول المشروبات الكحولية أو التعرض لرماد بعض الصناعات . وكذلك سرطان الفم وسرطان المري، وسرطان الكلية وسرطان البنكرياس .

أما سرطان المثانة فإن احصائيات معهد السرطان بجامعة القاهرة في الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٥ توضح عدة حقائق أهمها : أن سرطان المثانة الناتج من عدوى البلهارسيا تبلغ نسبته ٢٨ ٪ من جميع حالات السرطانات التي تم تشخيصها في هذه الفترة . بينما نسبة سرطان المثانة في الولايات المتحدة تصل إلى ٣ ٪ فقط . كما وجد أن نسبة إصابة الرجال بهذا المرض إلى نسبة الإناث تقارب ٥ إلى ١ نتيجة لطبيعة ظروف عمل الفلاح المصري وتعرضه المستمر في الحقل إلى عدوى البلهارسيا . كذلك وجد أن الغالبية العظمى من المصابين بهذا المرض هم من طبقة الفلاحين

أما الدكتور عبد الباسط الأحمر أستاذ كيمياء الخلية بمعهد السرطان بجامعة القاهرة والحاصل على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم هذا العام فيؤكد أن الفقد الناتج في أنسجة المثانة نتيجة اختراق بيض دودة البلهارسيا يمكن أن يكون من الأسباب المثيرة للإصابة بالسرطان . ولكنه ليس السبب الوحيد . حيث إن هذا الفقد يخلق حالة من الانتشاء المستمر والسريع لتقسيم الخلايا . وإذا علمنا أن تأثير المواد المسببة للسرطان يتم تأثير المعادل على الخلية وتحولها إلى خلية سرطانية أثناء انقسامها فنجد أن الظروف في هذه الحالة متوافرة لحدوث هذا السرطان بالمثانة . فمعدل انقسام الخلايا متزايد عن المعدل الطبيعي . واحتمال وجود مواد مسرطنة – أي تسبب سرطانا – في بول مريض عدوى البلهارسيا احتمال كبير وقائم نتيجة تليف الكبد وبقوت المثانة بالبنكريا .

ويضيف الدكتور عبد الباسط الأحمر : ومن المعروف أنه توجد في أماكن معينة بجسم الإنسان أنواع عديدة من البكتريا تقوم هذه البكتريا في كثير من الأحيان بتحضير العديد من الفيتامينات والأحماض الأمينية اللازمة لبناء خلايا الجسم . ويعتمد الجسم إلى حد كبير على هذه البكتريا . ولكن إذا تواجدت هذه البكتريا في أماكن غير أماكنها الطبيعية فإنها تأتي بتأثير ضار على أعضاء الجسم الموجودة بها . وبالتالي تؤثر على وظائف الجسم ككل . ومن أمثلة ذلك تواجد المثانة بالبكتريا نتيجة لعدوى البلهارسيا المتكررة وقد أثبت دراسة النشاط البيولوجي للبكتريا في المثانة وتركيبات هذه الدراسة على نوعين اثنين من الأشخاص وهي

أولا : قدرة هذه البكتريا في تخليق مواد من مكونات البول يمكن أن تكون مسببة للسرطان .

قدرة هذه البكتريا على إطلاق مواد مسببة للسرطان توجد عادة في حالة خاملة بفعل الزيمات موجودة بالكبد تقوم بهذه الوظيفة

وقد تم التوصل إلى النتائج التالية

– أن حوالي ٩٠ ٪ من أنواع البكتريا التي وجدت بالمثانة نتيجة لعدوى البلهارسيا هي من النوع الذي وجد أن له القدرة على القيام بالأنشطة السابقة بكفاءة عالية

– أن هذه البكتريا لها القدرة على تخليق مواد مسببة للسرطان من المواد الطبيعية التي يتكون منها البول

– تم التوصل لمعرفة قدرات هذه البكتريا في إطلاق مواد مسببة للسرطان من مواد الفروض فيا أن تكون خاملة وذلك عن طريق تحويل أحد الأزيمات التي تحويها هذه البكتريا . والذي وجد أن له مستوى نشاط عال جدا

لا جديد في المؤتمر . . ولكن . . !

وهناك شخصيات علمية – مرموقة على المستوى العالمي شاركت في هذا المؤتمر، فبالإضافة إلى رئاسة العالم المصري الكبير الدكتور اسماعيل السباعي هذا المؤتمر . واشتراك العالم البريطاني الكبير سير أوليفر سكوت . فقد اشترك أيضا د. جوزيه لاكور وكيل معهد السرطان الفرنسي . وهو أكبر معهد لعلاج ودراسة السرطان في أوربا كلها . ورئيس قسم الجراحة وعضو الجمعية الأكاديمية الفرنسية للجراحين الذي نظم لجنة لمحاربة مرض السرطان في فرنسا . واشترك في المؤتمر كذلك العالم اليوناني دكتور يوانيس ليناوس رئيس الجمعية اليونانية للسرطان ومدير معهد السرطان باثينا . وكذلك بانوزيني رئيس جمعية تأهيل مرضى السرطان بإيطاليا . وغيرهم . . وغيرهم .

وبالرغم من كل ذلك فإن المؤتمر لم يكن به جديد من ناحية الاكتشافات الخيرة والباهرة – لوسائل الإعلام – على حد تعبير د. اسماعيل السباعي في المؤتمر – بل إنه كان مناسبة لكي يلتقي كبار العلماء في منطقة البحر المتوسط ويناقشوا في هدوء حصيلة جهودهم وتجاربهم في جميع مجالات التشخيص والعلاج

غير أن ذلك لا يعني عدم حدوث تقدم في علاج هذا المرض . بل إن هناك ثلاثة ملايين أمريكي قد شفوا حاليا بعد أن مضى خمس سنوات من انتهاء العلاج ولم يرتد إليهم المرض . ولم يكن ذلك بفضل التقدم العلمي الذي تحقق . إنما كان بفضل الدقة والخبرة في الاكتشاف المبكر والعلاج السليم له . أي أن مهارة الطبيب هي العامل الأساسي . وليست الأجهزة والوسائل التكنولوجية الحديثة والمعقدة . والباهرة أيضا .

□

سير أوليفر سكوت

د. شريف عمر سكرتير عام المؤتمر

د. عبد الباسط الأحمر